توظيف النصّ القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام (ت: ٢٥٤هـ) في زيارة الغدير دراسة في الآليات التفسيرية

The Employment of the Quranic Text by Imam Al-Hadi (PBUH) (died 254 A.H) in Al-Ghadir Visitation: A Study of Interpretation Mechanisms

م.د. محسن عبد العظيم هادي الخاقاني
جامعة الكوفة
كلية التربية المختلطة

Dr. Lect. Mohsin Abduladhim Hadi Al-Khaqani
Kufa University
College of Education

توظيف النصّ القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام (ت: ٢٥٤هـ) في زيارة الغدير

دراسة في الآليات التفسيرية

الملخص:

كان لأهل البيت عليهم السلام دورٌ في تبيين الحق في مسائل الدين عمومًا ومسألة الخلافة والإمامة على وجه الخصوص؛ لينقذوا المؤمنين من الضلال بأساليب متعددة ومواطن مختلفة فيما أُثر عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في خطبهم وكلماتهم وأدعيتهم وزيارتهم لمراقد المعصومين عليهم السلام؛ وهو عين ما فعله الإمام علي الهادي عليه السلام في زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام بالزيارة الغديرية، وجاءت الزيارة على إيراد سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المعطاء، وكان الإمام الهادي عليه السلام يريد بذلك كله أن يُبين ما لأمير المؤمنين عليه السلام من الفضل الذي أثبته الله عزّ وجلّ له في نصوص قرآنه العظيم، موظفًا تلك النصوص القرآنية في زيارته الشريفة الواقعة ضمن مناسبةٍ عظيمةٍ، ألا وهي ذكرى يوم بيعة الغدير، وبيان المراد منها بآليات تفسيرية خاصة.

وكان الإمام الهادي عليه السلام يوظف النص القرآني في الزيارة ويقرنه ببيان مناسب له، عبر أساليب متعددة أسماها البحث بالآليات التفسيرية، فكانت بعض النصوص القرآنية يشير إليها الإمام مجرد إشارة؛ كونها لا تخفى على المسلمين في أنها في حق أمير المؤمنين عليه السلام فضلًا على شيعته، وبعضها يأتي مصرحًا بها ويبين أنها تتعلق بالإمام إما على نحو تخصيص العموم، أو على نحو التفسير المصداقي، أو على نحو تبيين المجمل وتأويلٍ للنص القرآني، أو على نحو بيان سبب النزول، أو تضمين مفردات وجُمل من الآيات القرآنية وهكذا.

وتبعًا لذلك انقسم البحث على أربعة مباحث اختلفت في عدد مطالبها، فاختص الأول بدراسة التفسير بآلية التصريح بأسباب نزول النص القرآني في بيان المراد، بينما كان المبحث الثاني بعنوان: البيان بآلية التصريح بالمصداق الأعلى للنص القرآني، وجاء المبحث الثالث موضّحًا البيان بآليات النصّ القرآني، بينما كان المبحث الرابع قد اختص بآلية تبيّن مجمل النص القرآني وتأويله.

الكلمات المفتاحية:

النص القرآني، زيارة الغدير، الإمام علي الهادي عليه السلام، سامراء .

The Employment of the Quranic Text by Imam Al-Hadi (PBUH) (died 254 A.H) in Al-Ghadir Visitation: A Study of Interpretation Mechanisms

Abstract:

The Prophet's progeny (PBUT) had a role in clarifying the truth in the issues related to religion in general and the issue of caliphate and imamate in particular. The aim is to save the believers from misguidance through various methods and occasions as they narrated in their sermons, speeches, supplications, and visits to the shrines of the Infallibles (PBUT). This is precisely what Imam Ali Al-Hadi (PBUH) did in his visitation to the Commander of the Believers in Al-Ghadir visitation. This visitation included the biography of the Commander of the Believers, Imam Ali (PBUH). Imam Al-Hadi intended to show the grace that Allah Almighty affirmed for the Commander of the Believers in the verses of His Great Qur'an, employing those Quranic verses in his noble visitation on the great occasion of the Ghadir Allegiance Day, and explaining their intended meaning through special interpretation mechanisms.

Imam Al-Hadi (PBUH) employed the Quranic text in the visitation and combined it with an appropriate explanation via various methods called the interpretation mechanisms. The Imam referred to some Quranic verses as indicators, as they are well-known to Muslims and his Shia followers that these verses revealed in the grace of the Commander of the Believers. Some of these verses were clearly stated and he explained that they are related to the Imam, either by the specification of the generalities, or by credible interpretation, or by clarifying the ambiguous, interpreting the Quranic text, or by explaining the reason of revelation, or including words and phrases from the Quranic verses, and so on.

Accordingly, the research was divided into four sections. The first topic was devoted to the study of interpretation through the mechanism of revealing the reasons of Quranic text revelation. The second topic was entitled: The Explanation through the Mechanism of Stating the Supreme Truth of the Quranic Text. The third topic clarified the explanation through the mechanisms of the Quranic text. The fourth topic was discussed the mechanism of clarifying the ambiguous Quranic text and its interpretation.

key words:

The Quranic Text, Al-Ghadir visitation, Imam Ali Al-Hadi (PBUH), Samarra.

المقدمة:

كمال الحمد وتمام الثناء وجمل الشكر لله رب العالمين كما يحب ويرضى، وأفضل الصلاة وأتم السلام على رسوله الأمين المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين الغرّ الميامين، وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

لا يخفى على المطلِع أن مسألة إدارة شؤون المسلمين بعد النبي صلى الله عليه وآله الدينية والدنيوية من أهم المسائل التي شغلت حيّزًا كبيرًا من الفكر الإسلامي، حتى إن المسلمين يكاد يجمعون على عدم اكتمال دينهم ما لم يعترف بفضل وتشخيص من يخلف النبي صلى الله عليه وآله من بعده، مع الاختلاف الحاصل بينهم في مصاديق الخلفاء، فمنهم من اعتمد على ما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله في النص على من يخلفه، ومنهم من يرى أن لاختيار الأمة الأثر الكبير في تحقيق الرضا المجتمعي لها؛ وعليه يكون اختيار الأمة مقدماً على نص الرسول، ومنهم من ينفي أن يكون هناك نص بهذا الخصوص، ومنهم من يرى أن في نص الرسول صلى الله عليه وآله دلالات تخرجه عن كونه أراد بذلك النص استخلاف شخصٍ معينٍ، وإلى غيرها من الرؤى الفكرية في الساحة الإسلامية.

فكان لأهل البيت عليهم السلام أن يبينوا الحق في مسائل الدين عمومًا ومسألة الخلافة والإمامة على وجه الخصوص؛ لينقذوا المؤمنين من الضلال بأساليب متعددة ومواطن مختلفة فيما أُثر عنهم (صلوات الله عليهم أجمعين) في خطبهم وكلماتهم وأدعيتهم وزياراتهم لمراقد المعصومين عليهم السلام؛ استثمارًا منهم لتوجه المتلقي الروحي وتلك الطقوس العبادية وما تُنتجه من حالة قبول واستسلام للمضامين الواردة في تلك الخُطب والكلمات والأدعية والزيارات، وهو عين ما فعله الإمام علي الهادي عليه السلام في زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام بالزيارة الغديرية، التي وافقت يوم الغدير يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، في العام الذي أشخصه فيه المعتصم العباسي من المدينة إلى سامراء، فمرَّ بوادي الغري حيث المرقد الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام وتوجه لزيارته بتلك الزيارة التي أصبحت فيما بعد هي الزيارة المخصوصة التي يُزار بها أمير المؤمنين عليه السلام من كل عام في يوم الغدير.

وكانت الفئة المستهدفة من نصوص زيارة الغدير هم شيعة أهل البيت عليهم السلام

العدد: التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

أولًا وبالذات، فكان الإمام يقصد تقوية عقيدتهم بأحد أهم أصول الدين ألا هو الإمامة؛ وذلك بتوظيف النص القرآني بأساليب متعددة حتى تكون لهم الحجة البالغة على أعدائهم، مستدلًا على ما يذكره من مناقب لأمير المؤمنين عليه السلام بالنصوص القرآنية؛ من هنا كانت بعض النصوص القرآنية يشير إليها الإمام مجرد إشارة؛ كونها لا تخفى على المسلمين في أنها في حق أمير المؤمنين عليه السلام فضلًا عن شيعته، وبعضها يأتي مصرحًا بها، ويبين أنها تتعلق بالإمام إما على نحو تخصيص العموم، أو على نحو التفسير المصداقي، أو على نحو تبيين المجمل وتأويلٍ للنص القرآني، أو على نحو بيان سبب النزول، أو تضمين مفردات وجُمل من الآيان القرآنية، وهكذا.

وتبعًا لذلك انقسم البحث على اربعة مباحث اختلفت في عدد مطالبها، فاختص الأول بدراسة التفسير بآلية التصريح بأسباب نزول النص القرآني في بيان المراد، بينما كان المبحث الثاني بعنوان: البيان بآلية التصريح بالمصداق الأعلى للنص القرآني، وجاء المبحث الثالث موضّحًا البيان بآليات النصّ القرآني، بينما كان المبحث الرابع قد اختص بآلية تبيين مجمل النص القرآني وتأويله.

ويُمثل هذا البحث محاولة حقيقية في تبيين ما أُجمل في نصوص الزيارة الغديرية والوقوف على الآليات التفسيرية التي جاءت على لسان الإمام الهادي عليه السلام، عسى أن نكون قد وفقنا لذلك، فإن كان كذلك فبفضل الله تعالى ومنّه، وإن كان غير ذلك فكفى بالمحاولة وصدق النيّة بنوال القرب من أهل بيت العصمة عليهم السلام، والله تعالى علّام الغيوب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

توطئة:

تعددت زيارات الأئمة المعصومين عليهم السلام واختلفت في طبيعتها، فمنها ما يزار بها جميع المعصومين، كالزيارة الجامعة وزيارة أمين الله، ومنها ما اختصت بأحدهم عليهم السلام كالزيارات المخصوصة بالأئمة، ومنها ما يُزار بها في كل وقت، ومنها ما تحددت بزمن معين، و«من أهم زيارات الأئمة الطاهرين عند الشيعة الإمامية زيارة الغدير، فقد اهتموا بها اهتمامًا بالغًا؛ لأنها رمز لذلك اليوم الخالد في دنيا الإسلام، ذلك اليوم الذي قدّر فيه الرسول صلى الله عليه وآله المصير الحاكم لأمته، فنصب الامام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة على المسلمين وتوّجَه بتاج الإمامة والخلافة،

وتعدّ الشيعة يوم الغدير عيداً لهم؛ لأنه المصدر الأصيل لكيانهم العقائدي، وأنهم منذ قيمة تاريخهم حتى يوم الناس هذا يزورون مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير ويجددون له الولاء والبيعة، وقد زاره الامام أبو الحسن الهادي عليه السلام في السنة التي أشخصه بها المعتصم من يثرب إلى سر من رأى، وقد زاره بزيارة تسمى (زيارة الغدير) التي هي من أروع وأجل الزيارات»[1].

وقد رويت هذه الزيارة بأسانيد معتبرة، عن الإمام علي بن محمد الهادي النقي عليه السلام، حيث زار بها جده الإمام عليّاً عليه السلام في مثل يوم بيعة الغدير، عندما أشخصه المعتصم العباسي إلى بغداد، كما رواها الشيخ المفيد مرسلة عن الإمام أبي محمد العسكري عن أبيه عليهما السلام. وتتبين أهميتها بما اشتملت عليه من مضامين عالية تنبع من أهمية ذلك اليوم العظيم يوم الثامن عشر من ذي الحجة في حجة الوداع التي خطب النبي صلى الله عليه وآله فيه خطبته وتحدث بأحاديث اتسمت كلها باسم الغدير، وكان الوحي قد أمر بذلك، فوثق كل تفاصيل ذلك اليوم وما سبقه وما لحقه من أحداث.

ولِما انفرد به أمير المؤمنين عليه السلام من جهاد ومواقف مشرفة في إعلاء كلمة الله تعالى على مسار مراحل الدعوة الإسلامية، فقد بات موضع اهتمام السماء، فأنزل الله عزّ وجلّ في مدحه وتفضيله والثناء عليه من آيات القرآن العظيم ما لم ينزل في غيره من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وكانت على وجه التصريح بفضله تارةً والتلميح أخرى، وكان للنبي صلى الله عليه وآله دورٌ كبير في إبراز وتبيين ما أغمض على المسلمين في تفضيل السماء لعلي بن أبي طالب عليه السلام من تلك الآيات، وسار على هذا النهج أهل بيته عليهم السلام، ومنهم الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام في زيارة الغدير الواردة عنه صلوات الله عليه مدار بحثنا هذا.

فكان عدد النصوص القرآنية الصريحة الواردة في زيارة الغدير (٢٧) سبعة وعشرين نصًا اختلفت في حجمها وموقعها من الزيارة، وأما المضامين القرآنية التي لم تكن بشكل نصٍ صريح بل على نحو إيراد مفردة قرآنية أو أكثر تارةً، أو فكرة قرآنية ومضمون قرآني أخرى، فقد زادت على ذلك العدد بكثير، ويمكن لنا الوقوف عليها في بحثٍ مستقلٍ إن شاء الله تعالى، وما سنبينه هنا هو ما ورد من نصوصٍ قرآنيةٍ بشكلٍ صريحٍ.

(١) القرشي، حياة الإمام الهادي، ص١٤٠.

مجلة آداب المستنصرية
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

المبحث الأول

التفسير بآلية التصريح بأسباب نزول النص القرآني

مدخل:

من الآليات التفسيرية المستعملة في الكشف عن مراد الله تعالى في النصوص القرآنية التي وظّفها الإمام علي الهادي عليه السلام هي آلية ذكر سبب نزول النص القرآني الخاص بشكلٍ صريح في نص الزيارة؛ لما لهذه الآلية من أهمية وفوائد جمة أثبتها علماء الدراسات القرآنية.

ولدى البحث عن تعريف أسباب النزول نجد السيوطي (ت:٩١١هـ) قد أشار إلى تعريفه إجمالًا بقوله: «والذي يتحرر في سبب النزول انه ما نزلت الآية أيام وقوعه»[١]، كما عرفه السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٣هـ) بأنه «الأمر والحادثة التي تعقب نزول آية أو آيات في شخص أو واقعة»[٢].

وعلم أسباب النزول أحد أهم علوم القرآن «الذي يتكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي نزول النص القرآني»[٣]، ولهذا العلم دور مهم ومؤثر في الإفصاح عن كنه الآية، وبيان مرادها، وما تضمنته من أبعاد وأغراض[٤].

وقد بلغ ببعض العلماء أن يصرحوا بعدم إمكانية «معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها»[٥]؛ لما يقدمه من فوائد في بيان مراد الله تعالى.

ويمكن إجمال فوائد معرفة علم أسباب النزول بأنه يساعد على فهم النص القرآني وإزالة اللبس والإبهام والغموض والاشتباه عنه، ويلقي ضوءًا كاشفًا على معاني الآيات القرآنية والأحكام الشرعية الواردة في بعض الآيات، وتمييز المكي من المدني الذي عن طريقه يتم تحديد الناسخ من المنسوخ، وكذلك معرفة علم أسباب النزول يفيد بتيسير الحفظ، وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي، في ذهن كل من يسمع الآية اذا عرف سببها[٦]؛ «وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات والأحكام بالحوادث،

(١) السيوطي، الإتقان، ج١، ص٤٢.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ج١، ص٤٢؛ وينظر: الزرقان مناهل العرفان، ج١، ص٦٤.

(٣) العطار، موجز علوم القرآن، ص٢١.

(٤) العطار، موجز علوم القرآن، ص٢١.

(٥) الواحدي، أسباب النزول، ص٨.

(٦) الزرقاني، مناهل العرفان، ج١، ص١١٣.

والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة، كل أُولئك من دواعي تقرير الأشياء في الذهن وتسهيل استذكارها»[١].

والإخبار عن أسباب نزول الآيات يتوقف على بيان مَن نزل القرآن الكريم بين ظهرانيهم؛ لأنه «لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، أو بحثوا عن علمها وجدّوا في الطلب»[٢]، وكذلك ما يرد عن أهل البيت عليهم السلام بنقلٍ صحيحٍ؛ ذلك أنهم لا يجري عليهم ما يجري على سائر المسلمين من قواعد الجرح والتعديل فيما ينقلونه وإن لم يشاهدوا التنزيل؛ كونهم هم أهل القرآن الكريم وقد نزل في بيوتهم، وتوارثوا علومهم كابراً عن كابر، فما تأتي من روايات صحيحة عنهم -وفق ضوابط المحدّثين- فإنها تكون بمثابة من عاصر وقت نزول القرآن الكريم وإن لم يسندوا ما يذكرونه؛ للقاعدة الرجالية القائلة بأن «مراسيل الأئمة عليهم السلام مسانيد»[٣].

ونريد الوقوف عند أهم ما يقدمه لنا علم أسباب النزول من فوائد علمية -مما له علاقة بالبحث- هي فائدة الوقوف على منزلة الصالحين والمؤمنين ومناقبهم، أو فضيحة المنافقين، الوارد ذكرها في عددٍ من الآيات؛ بوصفه أحد الآليات التفسيرية للنصوص القرآنية التي وظّفها الإمام الهادي عليه السلام في زيارته لأمير المؤمنين عليه السلام والتي سنوردها بشكلٍ مختصر على النحو الآتي:

أولًا: بيان المراد من المتاجرين مع الله عزّ وجلّ

ذكر الإمام الهادي عليه السلام مخاطبًا أمير المؤمنين عليه السلام في زيارة الغدير قوله: «وأشهد أنك وعمك وأخاك، الذين تاجرتم الله بنفوسكم، فأنزل الله فيكم: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١ – ١١٢]».

(١) كمال، عادل، علوم القرآن، ص٤٠.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص٨.

(٣) الغازي، مسند الإمام الرضا عليه السلام، ص١٣.

فنجد أن الإمام الهادي عليه السلام يصرح بأن النص القرآني المذكور آنفًا قد نزل في أمير المؤمنين عليه السلام وعمّه حمزة سيد الشهداء وأخيه جعفر الطيار عليهما السلام، وهذا التصريح منه عليه السلام يضفي على النص القرآني بيانًا كاشفًا عما يريده الله عزّ وجلّ من مدح لأمير المؤمنين عليه السلام؛ لأن (معنى البيعة أن يبيع نفسه ويشتري بها الجنة لا يفر حتى يَقتُل أو يُقتَل وقد صح هذا لعلي عليه السلام؛ لأنه لم يفر في موضع قط ولم يصح ذلك لغيره)[1].

فكأنَّ الإمام الهادي عليه السلام يريد أن يبين أن أمير المؤمنين عليه السلام رسم للأحرار طريقًا للمتاجرة مع الله سبحانه وتعالى المالك لكل شيء، ومع ذاك يشري منهم ما هو واهبٌ لهم إياه مقابل أعظم الأثمان وهو الجنة، فمن طريق آلية سبب النزول التفسيرية تبين لنا المقصود بالمتاجرين مع الله تعالى.

ثانيًا: بيان معايير التفاضل بين المؤمنين

نجد الإمام الهادي عليه السلام يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام بفقرة من فقرات الزيارة، مضمنًا خطابه نصيَّن قرآنيين أحدهما يتبع الآخر فيقول: «وأنت ولي الله وأخو رسوله، والذاب عن دينه، والذي نطق القرآن بتفضيله، قال الله تعالى: ﴿**فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ٩٥-٩٦]، وقال الله تعالى: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٩-٢١]».

فقد تناولت الآيتان الأوليان من سورة النساء موضوع التمايز وعدم التساوي في الأجر بين المؤمنين المجاهدين وغيرهم من القاعدين ما لم يكن المانع شرعياً، كالمرض الذي يحول دون المشاركة في الجهاد، فيُثبت الإمام الهادي عليه السلام أفضلية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من طريق هاتين الآيتين، (وعلى تقدير أن

(١) ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج٢، ص٣٤.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الإمام الهادي عليه السلام جاء بهاتين الآيتين على سبيل الاستشهاد فإن ما مر بيانه يوضح ويؤكد شمولها للإمام علي عليه السلام وأنه أصدق مصاديقها، وأعظمهم فضلًا، أما إذا كان يروي نزولها فيه – وهو أمر يرجحه نص الزيارة– فلابد من من الأخذ بروايته؛ لأنه من أعلام أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل الذكر وحملة علم الرسول صلى الله عليه وآله)[١]

أما بالنسبة للنص القرآني الأخير من سورة التوبة فثابت أنه نزل في فضل الإمام علي عليه السلام، فقد روي أنه «نزلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبة، وذلك أنهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، ولو أشاء بت فيه وإلي ثياب بيته. وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها. وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٢].

ثالثًا: بيان الموقف الإلهي من تبليغ الولاية

ورد قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة مضمنًا التصريح بسبب نزول نصٍ قرآني آخر وهو يتحدث عن بيعة الغدير وموقف النبي صلى الله عليه وآله تحديدًا بقوله: «فلما أشفق من فتنة الفاسقين، واتقى فيك المنافقين، أوحى الله رب العالمين: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة: ٦٧]».

وتوظيف هذا النص القرآني من قِبل الإمام الهادي عليه السلام، وهو أحد أهم النصوص القرآنية المثبتة لتنصيب أمير المؤمنين عليه السلام أميرًا للمسلمين في حياة الرسول، وخليفة له بعد وفاته، واقترانه بذكر سبب نزوله معه يؤكد –في ذهن المتلقي– هذه الحقيقة التي لاشك فيها عند عامة المسلمين وخاصتهم.

فمما ثبت سبب نزوله من الآيات القرآنية هو هذا النص القرآني، فقد صرّح الواحدي (ت: ٤٦٨هـ) بذلك بسند متصل إلى أبي سعيد الخدري –وهو ممن شاهد التنزيل– بقوله: «نزلت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب رضي الله عنه»[٣].

(١) الخرسان، شرح زيارة الغدير، ص٢٥٤.

(٢) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٥.

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٠٢.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

وقد ورد أن هذه الآية نزلت تأمر النبي ﷺ بتنصيب الإمام علي عليه السلام يوم الغدير، فعن ابن عبّاس وجابر بن عبد الله قالا: «إنّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن ينصب عليّا عليه السّلام علمًا للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول الله ﷺ أن يقولوا حامى ابن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، وأن يشقّ ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم الغدير وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه»[1].

رابعًا: بيان حصر الولاية بالله ورسوله ومن أتى بالزكاة وهو في حال الركوع

يذكر الإمام الهادي عليه السلام ما يستكمل به مناقب أمير المؤمنين عليه السلام بتوظيف النصوص القرآنية المقترنة بالتصريح بأن أسباب نزولها كانت تخصّه عليه السلام، ومنها قوله: «فما آمن بما أنزل الله فيك على نبيه إلا قليل، ولا زاد أكثرهم إلا تخسيراً، ولقد أنزل الله تعالى فيك من قبل وهم كارهون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٤-٥٦] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]».

ففي الجزء الأول من هذا النص القرآني نجد أن الإمام الهادي عليه السلام يُبين موقف بعض المسلمين وكرههم لما انفرد به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من محبةٍ لله تعالى وحبه له والمناقب السامية الأخرى، مع ذكر سبب نزول الجزء الآخر من النص وهو آية الولاية المتمثلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

جاء الإمام الهادي عليه السلام بما قد أثبته المسلمون – حتى من غير الإمامية – بحق أمير المؤمنين عليه السلام من أن هذه الآية نزلت في حقه، كما في الرواية «إن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج إلى المسجد والناس بين

(١) العياشي، تفسير العياشي، ج١، ص٣٣١.

قائم وراكع، فنظر سائلًا فقال: هل أعطاك أحد شيئًا؟ قال: نعم خاتم من ذهب، قال: من أعطاكه؟ قال: ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: على أي حال أعطاك؟ قال: أعطاني وهو راكع، فكبّر النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم قرأ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾»[1].

ويأتي ذلك من الإمام الهادي عليه السلام من باب التأكيد وإقرار صحة ما ورد في سبب نزول هذه الآية بحق أمير المؤمنين عليه السلام، الذي كشف -سبب النزول- عن أمرٍ يكاد يكون مجملًا لولاه، وهو هل أن الولاية لعامة المؤمنين؟ فعلى من تكون ولايتهم في هذه الحال؟ ولكن عندما جاء سبب النزول حصر الولاية بالله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله والمؤمنين ممن كان حاله كما وصفته الآية وليس جميع المؤمنين، وهو إيتاء الزكاة في حال الركوع في ذلك الوقت تحديدًا، وليس بهذه الصفة إلا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي ستكون الغلبة لمن يتولاه بعد تولي الله تعالى ورسوله، كما هو واضح في الجزء الأخير من النص القرآني آنف الذكر بوصف المتولين بأنهم (حزب الله الغالبون).

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٠٠.

بعد بيان ذلك يذكر الإمام الهادي عليه السلام - بشكل مباشر- نصًا قرآنيًا آخر يتضمن الإقرار بالإيمان والتسليم بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ولا سيما في حق علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية المباركة: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ثم الدعاء بطلب البقاء على تلك الهداية لولاية أمير المؤمنين عليه السلام بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

فكان دور الإمام الهادي عليه السلام واضّح في البيان عن طريق ذكر سبب النزول ثم الإقرار بذلك ومن ثم الدعاء باستمرار التوفيق للهداية.

خامسًا: بيان الفلاح جزاءً للإيثار

صرّح الإمام الهادي عليه السلام بسبب نزول نصٍ قرآني يثبت إيثار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وفيك أنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]».

أكّد الإمام الهادي عليه السلام أن هذه الآية الكريمة كان سبب نزولها ما حدث لأمير المؤمنين عليه السلام والسيدة الزهراء (سلام الله عليها) كما ورد ذلك عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، بقوله: «بينا علي عليه السلام عند فاطمة عليها السلام إذ قالت له: يا علي، اذهب إلى أبي فابغنا منه شيئا. فقال: نعم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطاه دينارًا، وقال: يا علي، اذهب فابتع لأهلك طعامًا، فخرج من عنده فلقيه المقداد بن الأسود رحمه الله وقاما ما شاء الله أن يقوما وذكر له حاجته، فأعطاه الدينار وانطلق إلى المسجد، فوضع رأسه فنام، فانتظره رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يأتِ، ثم انتظره فلم يأتِ، فخرج يدور في المسجد، فإذا هو بعلي عليه السلام نائمًا في المسجد فحرّكه رسول الله صلى الله عليه وآله فقعد، فقال له: يا علي، ما صنعت؟ فقال: يا رسول الله، خرجت من عندك فلقيني المقداد بن الأسود، فذكر لي ما شاء الله أن يذكر فأعطيته الدينار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إن جبرئيل عليه السلام قد أنبأني بذلك، وقد أنزل الله فيك كتابًا: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩] »[١].

ومما يُثبت أن الآية السالفة الذكر نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام هو ماورد في حديث طويل عنه عليه السلام يقول فيه للقوم بعد موت عمر بن الخطاب: «نشدتكم بالله هل فيكم أحد أنزلت فيه هذه الآية ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ غيري؟ قالوا: لا»[٢]، وبعد بيان سبب نزول هذه الآية تتضح مكانة أمير المؤمنين عليه السلام ومنزلته عند الله تعالى ورسوله؛ لما آثر فيه على نفسه مع أنه في أمَسّ الحاجة لما أنفقه ليقضي به حاجة غيره.

سادسًا: بيان فضل الله تعالى على أمير المؤمنين عليه السلام

يأتي الإمام الهادي عليه السلام في حديثه عن مناقب الإمام علي عليه السلام يأتي على بيان فضل الله تعالى عليه بقوله: «والله تعالى أخبر عما أولاك من فضله بقوله: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٨-١٩]».

ففي قوله تعالى: ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا**﴾ نجد من علماء المسلمين مَن يُصرِّح بأنها

(١) البحراني، البرهان، ج٥، ص٣٤٢.

(٢) الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٢٨٥.

«نزلت في عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن أبي معيط، وذلك أنه جرى بينهما تنازع وسباب، فقال له الوليد: اسكت، فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لسانًا فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق تقول الكذب، فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديقًا لما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فقال: قال الوليد بن عقبة لعليّ: أنا أَحَدُّ منك سنانًا، وأبسط منك لسانًا، وأملأ للكتيبة منك، فقال له عليٌّ: اسكت، فإنما أنت فاسق، فنزلت ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ قال: يعني بالمؤمن علي رضي الله عنه، وبالفاسق الوليد بن عقبة»(١).

وهذا البيان في معرفة المؤمن ومعرفة الفاسق يعود إلى طبيعة آلية التصريح بسبب نزول الآية القرآنية من قِبل الإمام الهادي عليه السلام.

في هذا النص من الزيارة يُصرّح الإمام الهادي عليه السلام بما أخبر به الله عزّ وجلّ عما أولى أمير المؤمنين عليه السلام من الفضل الخاص؛ وهو المعني بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وفيه أُنزل، وهو من استحقه بجدارة، مضافًا إلى ما تصدر به النص القرآني من الإعلام بعدم التساوي بين المؤمن -وهو أمير المؤمنين عليه السلام- وبين الفاسق وهو عدوه الوليد بن عقبه.

سابعًا: بيان المواقف الجهادية في بدر وأُحد والأحزاب وتوثيقها

يبين الإمام الهادي عليه السلام مواقف أمير المؤمنين عليه السلام ومناقبه متسلسلةً حسب وقوعها في التأريخ، وأنه عليه السلام مختص بكرامة الله تعالى في جميعها؛ لما جاء به من مواقف نبيلة خلدها القرآن الكريم بخلوده، ومخاطبة الإمام الهادي له بقوله: «أنت المخصوص بعلم التنزيل وحكم التأويل، ونصر الرسول، ولك المواقف المشهورة، والمقامات المشهورة والأيام المذكورة، يوم بدر ويوم الأحزاب: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١٣]».

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص٣٥٠.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

ثم يتبع الإمام الهادي عليه السلام ذلك بلا فاصلة أو تعقيب قوله: «وقال الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢]، فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم ﴿**وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا**﴾ [الأحزاب: ٢٥]».

ففي هذا النص القرآني الذي وظّفه الإمام الهادي عليه السلام في زيارته راعى فيه البيان عن طريق ذكر آلية سبب النزول التفسيرية، فقد «أخبر تعالى أنه ردّ المشركين من الأحزاب عن قتال النبي صلى الله عليه وآله بغيظهم الذي جاؤوا به وخيبهم لم ينالوا خيرًا أملوه من الظفر بالنبي صلى الله عليه وآله وبالمؤمنين، وكفى الله المؤمنين القتال عند رجوعهم، وقيل: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام وهي قراءة ابن مسعود، وكذلك هو في مصحفه، في قتله عمرو بن عبد ود، وكان ذلك سبب هزيمة القوم»[١].

وما يؤكد سبب نزول هذه الآية في حق أمير المؤمنين عليه السلام وأن المؤمنين كفوا القتال بعلي عليه السلام، وهو إن المشركين تحزبوا، واجتمعوا في غزاة الخندق، والقصة مشهورة عندما عبر الخندق فارس قريش المشهور عمرو بن عبد ود الذي يعد بألف فارس، وطلب النبي أحدًا من المسلمين لمبارزته فلم يجبه إلا الإمام علي بن أبي طالب ثلاث مرات، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه، اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه»، ولما قتل عمرو، وخذل الأحزاب، أرسل الله عليهم ريحًا وجنودًا من الملائكة، فولّوا مدبرين بغير قتال، وسببه قتل عمرو، فمن ذلك قال سبحانه: ﴿**وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ بعلي عليه السلام[٢].

ثم يحكي الإمام الهادي عليه السلام الموقف المتفرد لأمير المؤمنين عليه السلام بما يكشف النقاب عن تفسير النص القرآني، إذ يكتمل المشهد عند المتلقي وهو يستمع للحوادث الحاصلة في معركة أُحد كما نص عليها القرآن الكريم وما تلاها من تعقيب من قِبل الإمام عليه السلام بقوله: «ويوم أحد ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٣]، وأنت تذود بهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال، حتى صرفهما عنكم

(١) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٣٣١.

(٢) البحراني، البرهان، ج٤، ص٤٣٤.

الخائفين، ونصر بك الخاذلين».

وبعد ذكر النصوص القرآنية التي سردت حوادث معركة بدر ومعركة الأحزاب ومعركة أُحد، وما بيّنه الإمام الهادي من أسباب نزول بعض آياتها وتسجيل المواقف البطولية والجهادية لأمير المؤمنين عليه السلام، يأتي الدور بالحديث عن معركة خيبر التي لم تُذكر باسمها الصريح في القرآن الكريم بخلاف حال بعض المعارك السابقة، فيقول الإمام الهادي عليه السلام: «ويوم خيبر إذ ظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين، والحمد لله رب العالمين: ﴿**وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا**﴾ [الأحزاب: ١٥] ».

فيقرر الإمام الهادي عليه السلام جميع تلك المواقف القرآنية لأمير المؤمنين عليه السلام المقترنة بذكر أسباب نزولها، ويقول بعد ذلك: «شهدت مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه، تحمل الراية أمامه، وتضرب بالسيف قدامه، ثم لحزمك المشهور، وبصيرتك بما في الأمور، أمّرك في المواطن، ولم يك عليك أمير»؛ لما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام من مواقف جهادية متفردة اقتضت نزول بعض الآيات القرآنية.

ثامنًا: بيان كيفية الافتداء لابتغاء مرضات الله عزّ وجلّ

وآخر ما يذكر الإمام الهادي عليه السلام من تصريحٍ لسبب النزول في نصوص الزيارة هو ماورد في قوله عليه السلام: «وكذلك أنت لما أباتك النبي (صلى الله عليكما) وأمرك أن تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك، أسرعت إلى إجابته مطيعًا، ولنفسك على القتل موطنًا، فشكر الله تعالى طاعتك، وأبانَ عن جميل فعلك بقوله جل ذكره ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ».

نجد أن الإمام الهادي عليه السلام يُبين منقبة أمير المؤمنين عليه السلام وافتداءه رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، كانت سببًا في نزول نصٍ قرآنيٍ كريمٍ، وهي أشهر من أن تُنكر من قبل عامة المسلمين فضلًا على خاصتهم، فقد ذكر ابن أبي الحديد: «أن حديث الفراش قد ثبت بالتواتر، فلا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، وقد روى جملةٌ من المفسرين إن هذه الآية نزلت في علي ليلة المبيت على الفراش»[1]، وهو ما ورد أيضًا عن الإمام السجاد علي بن الحسين (صلوات

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٢٦٢.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

الله عليها) قال: «نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

ومما تقدم من تطبيقات قرآنية واردة ضمن نصوص زيارة الغدير، تتضح أهمية آلية التصريح بأسباب النزول التفسيرية عند الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وما أسهمت به في بيان مراد الله تعالى من كلامه المجيد، الذي غالبًا ما يأتي بصفة الإجمال دون التفصيل، والإشارة دون التصريح، بينما أوكلت مهمة تبيان تلك الأمور إلى صنو القرآن الكريم وترجمانه وهم أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام علي بن محمد الهادي (صلوات الله وسلامه عليه).

المبحث الثاني

البيان بآلية التصريح بالمصداق الأعلى للنص القرآني

المطلب الأول: الجري والانطباق والتفسير المصداقي للنص القرآني

من الواضح أن الآيات القرآنية الكريمة يمكن تقسيمها على حيثيات متعددة بحسب الاعتبارات المختلفة، نحو اعتبار الإحكام والتشابه فتنقسم على الآيات المحكمة والآيات المتشابهة، وباعتبار صيغة العموم والخصوص فتنقسم على العامة والخاصة، وهكذا المطلقة والمقيدة والمجملة والمبينة وآيات الأحكام وغيرها.

والمتتبع لنصوص الزيارة الغديرية يجد أن النصوص القرآنية الواردة فيها المثبِتة لحق أمير المؤمنين على لسان الإمام الهادي عليهما السلام جاءت على قسمين:

الأول: ما يتضمّن أسباب النزول

ويبيّن أنّ الآية حسب النصوص الروائية نزلت في حقّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كـ(آية إكمال الدين) و (آية التبليغ) و(آية الولاية) و(آية الإطعام) إلى غير ذلك من الآيات التي أثبتها المفسّرون وأقروا بأن نزولها كان في حقّ الإمام عليه السلام، وهذا ما تناولناه في المبحث الأول من بحثنا هذا.

الثاني: ما يتضمّن الجري والانطباق

لا بمعنى أنّ الآية وردت في حقّ الإمام عليه السلام حصرًا وكان (سلام الله عليه) سببًا في نزولها، بل الآية جاءت على معناها العامّ، ولكن كلام الهادي عليه السلام أوردها في نصوص الزيارة وأشار إلى مصداقها المثالي الذي هو أكمل المصاديق وأرفعها، وليس هذا بعيدًا عن طبيعة القرآن الكريم، بل بما

(١) البحراني، البرهان، ج١، ص٤٤٢.

مجلة ميراث المشارع
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

أنّ القرآن الكريم كتاب الأجيال والقرون، ويقتضي صحّة ذلك الجري الانطباق، فانّ القرآن حي لا يموت، كما جاء عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: «إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية اذا نزلت في الأقوام، وماتوا ماتت الآية، لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين»[١].

ولا يشكّ أحد أنّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من المصاديق الجليّة الكاملة لما ورد من آيات قرآنية جاء توظيفها من قِبل الإمام الهادي عليه السلام، وهو ليس مصداقًا منحصرًا فيه، بل كان تفسير الإمام الهادي عليه السلام لتلك الآيات من باب الجري والانطباق، بوصفه أحد أهم أفراد المفهوم وأمثل المصاديق الممكن أن تنطبق عليها معاني الآيات الكريمة.

وظاهرة الجري والانطباق من المباحث القرآنية المهمة التي أخذت حيّزًا كبيرًا من التفاسير ولا سيما المتأخرة منها، وفيها إيذان بتحرير دلالة الآية من حدي الزمان والمكان في حال النزول، وهو ما يخرج النص القرآني أن يكون تأريخيًا منحصرًا في وقت نزوله، ويُعد ذلك سمة بارزة له على اعتبار أن إعجاز النص الكريم قائم على ذلك في عالميته المقتضية لعملية ديمومته وصلاحيته لكل زمان ومكان، وعليه فالجري في مصطلح أهل التفسير يعرّف على أنه: «عبارة عن انطباق ألفاظ القرآن وآياته على غير ما نزل فيه»[٢].

وبعبارة أخرى هو اتساع القرآن من حيث الانطباق على المصاديق وبيان حالها وعدم اختصاص الآية بمورد النزول، بل جريها في كل أمر يتحد مع مورد النزول ملاكًا[٣] كالأمثال التي لا تختص بمواردها الأول بل تتعداه إلى ما يناسبها وما يشابهها «فإن الآية القابلة للانطباق على أفراد كثيرين تطبّق على المصداق الأتم، مثل: انطباق الصادقين والمتقين والمحسنين وغيرها على علي بن أبي طالب عليه السلام لكونه أتم مصداق لهذه المفاهيم»[٤] القرآنية.

إذن، فنظرية الجري والانطباق تحرر الآية القرآنية وتعطيها سعة تطبيقية على مصاديق وأفراد متعددة تتخطى بها المصاديق والأفراد النازلة في شأنهم.

فمثلًا عند تفسير قوله تعالى:

---

(١) العياشي، تفسير العياشي، ج٢، ص٢٠٣.

(٢) الميبدي، قواعد التفسير، ص٣٠١.

(٣) الطباطبائي، الميزان، ج٣، ص٧٨.

(٤) الميبدي، قواعد التفسير، ص٣٢.

العدد: التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هُذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ [الملك: ٢٧]، نجد بعض المفسرين يرى تفسير ذلك بأنه عندما شاهد الكفار شأن ومقام الإمام علي عليه السلام عند الله تعالى اسودت وجوههم (من شدة الغضب)، ونقل هذا المعنى أيضًا في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أن هذه الآية نزلت بحق أمير المؤمنين علي عليه السلام وأصحابه، وهذا التفسير نقل عن طرق الشيعة وأهل السنة، وهو نوع من التطبيق المصداقي، وإلا فإن هذه الآية تناولت موضوع (القيامة) ومثل هذه التطبيقات ليست قليلة في عالم الروايات[١].

وهذا النوع من التفسير بالمصداق وصفه صاحب الميزان بأنه: «سليقة أئمة أهل البيت، فإنهم يطبقون الآية من القرآن على ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد، وإن كان خارجًا عن مورد النزول»[٢].

والتفسير المصداقي وهو عبارة عن تطبيق الآيات القرآنية على مصاديق خارجية تُشابه المصاديق التي أُنزِلت في شأنها تلك الآيات، ويكون بيان هذا التطبيق على المصداق مُنحصراً بأهل البيت عليهم السلام بوصفهم هم أهل النص وهم الذين نزل القرآن الكريم في بيوتهم، وإن أكثر الروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام إنما هي من قبيل المصداق من حيث الظهور والخفاء.

ويقول السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ) عند تعرضه لبعض الروايات التي تتحدث عن دلالات بعض الآيات القرآنية المتضمنة معنى أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أبواب الله وهم الصراط المستقيم وغيرها، فيقول: «وفي هذه المعاني روايات أخر، وهذه الأخبار من قبيل الجري، وعدّ المصداق للآية، واعلم أن الجري و- كثيرًا ما نستعمله في هذا الكتاب-[٣] اصطلاح مأخوذ من قول أئمة أهل البيت عليهم السلام»[٤]، وبهذا الشكل أُريد للنص القرآني الخلود والتماشي مع كل زمان وكأنه «يصبح النص الواحد في نزوله حالة مكثّفة من النزولات المتعددة، لكنّها أُدمجت جميعًا في نصّ واحد تلافى

(١) الشيرازي، الأمثل: ينقل عن الحاكم أبي القاسم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس الهجري)، ج١٨، ص٥٠٨.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤٢.

(٣) يقصد كتاب تفسير الميزان.

(٤) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٣٩.

التعدد الزمني بالقدرة على التعميم والانطباق، وذلك ما استلزمته خاتمية الرسالة»[١].

فالمعروف أن النص القرآني لم يأتِ لزمان دون زمان، ولا انحصر في مكان محدد، وإنما هو عابرٌ لحدّي الزمان والمكان، ويعالج القضايا معالجة جذرية بتأسيسه لقواعد عامة تنفع عند تطبيقها على مشابهات تلك القضايا في الجهة ووحدة الموضوع.

فأراد الإمام الهادي عليه السلام في زيارته الغديرية أن يُبين مكانة أمير المؤمنين عليه السلام من طريق تفسير الآيات الكريمة بذكر أبرز مصاديقها، فالآيات القرآنية وإن كانت تأتي بصيغة العموم، ولكن هناك ما يقابل ذلك من الخصوص، ولكنه قد يخفى على المتلقي؛ لذا جاء الإمام الهادي عليه السلام موظفًا النص القرآني في نصوص الزيارة؛ ليسلّط الضوء على بيان المرادات الإلهية في منزلة أمير المؤمنين عليه السلام من هذه النصوص القرآنية التي سنتناولها بحسب ورودها في نصّ الزيارة من طريق ذكر أعلى المصاديق لها.

(١) الأعرجي، مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، ص٧٣.

المطلب الثاني: التطبيقات الإجرائية للتفسير المصداقي في الزيارة الغديرية

أولًا: المصداق الأمثل للصراط المستقيم

عرض الإمام الهادي عليه السلام إلى أن المعنيّ بالصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول: «وأشهد أنك المعنيّ بقول العزيز الرحيم: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

نجد أن الإمام الهادي عليه السلام هنا يشير إلى أن من أعلى المصاديق التفسيرية (للصراط) هو أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا النص القرآني يلتقي مع ما أثبته الإمام في بداية نصّ الزيارة بقوله: «السلام عليك يا دين الله القويم، وصراطه المستقيم»، وهو بذلك يُثبت ما جاء عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن النبي (صلوات الله عليهم أجمعين) أنه قال لعلي عليه السلام في حديثٍ طويل: «يا علي، أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وأنت النبأ العظيم، وأنت الصراط المستقيم...»[٢].

(٢) الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٩.

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

فكانت رؤية الإمام الهادي عليه السلام في تفسير الصراط المستقيم بأمير المؤمنين عليه السلام تلتقي مع رؤية الإمام الرضا عليه السلام وما عليه أهل البيت عليهم السلام جميعًا.

ثانيًا: بيان المصداق الأعلى للأخسرين

يتعرض الإمام الهادي عليه السلام لبيان حقيقة قرآنية في من المقصود بالأخسرين في الآية بقوله: «مولاي فضلك لا يخفى، ونورك لا يطفى، وإن من جحدك الظلوم الأشقى، مولاي أنت الحجة على العباد، والهادي إلى الرشاد، والعدة للمعاد، مولاي لقد رفع الله في الأولى منزلتك، وأعلى في الآخرة درجتك، وبصرك ما عمي على من خالفك، وحال بينك وبين مواهب الله لك، فلعن الله مستحلّي الحرمة منك، وذائدي الحق عنك، وأشهد أنهم الأخسرون، الذين ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]».

فالمخالفون لأمير المؤمنين عليه السلام هم أشد مصاديق الأخسرين الذين تلفح وجوههم جهنم، واللفح أشدّ تأثيرًا وأعظم من النفح، وهو ضرب من السموم للوجه، والنفح: ضرب الريح الوجه، والكلوح: تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان كالرؤوس المشوية، فتلفح وجوههم النار أي: يصيب وجوههم لفح النار ولهبها وهم عابسون[١].

فنجد أن الإمام الهادي عليه السلام قد أعطى الآية تفسيرًا مصداقيًا بذكره الفئة التي استحلت حرمة أمير المؤمنين عليه السلام، فيلعنهم؛ لأنهم كانوا هم مثال الأخسرين الذين تلفح وجوههم النار.

ثالثًا: بيان مصداق مَن يعلم ومَن لا يعلم

يتطرق الإمام الهادي عليه السلام إلى مسألة بيان مَن اختصه الله تعالى بالعلم من غيره، فقد جاء في الزيارة خطاب منه لأمير المؤمنين عليه السلام نصّه: «صدقت والله وقلت الحق، فلعن الله من ساواك بمن ناواك، والله جل ذكره يقول: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، ولعن الله من عدل بك من فرض الله عليه ولايتك».

وقد ورد في تفسير هذه الآية عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «إنما نحن الذين يعلمون، والذين لا يعلمون عدونا، وشيعتنا أولو الألباب»[٢]؛ لذا استدل

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٢١٠-٢١٢.

(٢) الكليني، الكافي: باب أن من وصفه الله تعالى

الإمام الهادي عليه السلام بالآية في كلامه بأن جعل أفضل مصاديق الذين يعلمون هو أمير المؤمنين عليه السلام. ويمكن أن يدخل معه أهل البيت عليهم السلام فيما بعد ومن تبعهم هم أولو الألباب، وكذلك المصداق الأعلى للذين لا يعلمون وهم عدوهم ومن خالفهم وتخلّف عنهم.

رابعًا: بيان مصداق التائبين بمشيئة الله تعالى

يورد الإمام الهادي عليه السلام أحداث واقعة حُنين مستشهدًا بنصٍّ قرآنيٍّ، فيقول مخاطبًا أمير المؤمنين عليه السلام: «وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، حتى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة، وتكفلت دونهم المعونة فعادوا آيسين من المثوبة، راجين وعد الله تعالى بالتوبة، وذلك قوله جلّ ذكره: ﴿**ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ٢٧]».

فيستشهد الإمام بالآية المتقدمة ليُبين أعلى مصاديقها في قبول توبة من تاب بعد واقعة حُنين بمعنى أن «يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والإنابة إليه من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلًا بالسيف على من يشاء، أي: يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به إلى طاعته (والله غفور) لذنوب من أناب وتاب إليه منهم ومن غيرهم منها، (رحيم) بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم، ولا يؤاخذهم بها بعد إنابتهم»[1].

فالإمام الهادي عليه السلام يبين أحد أهم مصاديق التائبين في واقعة حُنين فيما جاؤوا به من تقصير في أداء حق الجهاد كما يُريده الله ورسوله والمؤمنون.

خامسًا: بيان أعظم مصداق الصادقين

يُبين الإمام الهادي عليه السلام ما أمر به الله تعالى من وجوب اتّباع أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «وقد أمر الله تعالى باتباعك وندب إلى نصرك، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]».

وهو بذلك (سلام الله عليه) يكشف النقاب عن أمر مولوي يأمر به المؤمنين بالكون مع أعظم مصداق للصادقين، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو يقوم بعملية تفسير الآية تفسيرًا مصداقيًا ضمن كلامه؛ لأن أهل البيت عليهم السلام بشكل عام هم أعظم مصداق الصادقين، فقد ورد عن معاوية

في كتابه بالعلم هم الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٢١٢.

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١١، ص٣٩٦.

مجلة تراث المشهد
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

العجلي قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: إيّانا عنى»[١].

وفي رواية عن ابن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين «قال: الصادقون هم الأئمة والصديقون بطاعتهم»[٢].

سادسًا: بيان مصداق الصادق بالعهد المختص بمدحة الله سبحانه

يقول الإمام الهادي عليه السلام في أواخر فقرات الزيارة: «وفي مدح الله تعالى لك غنى عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين، قال الله تعالى: ﴿**مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٣]».

مما ورد في تفسير الآية آنفة الذكر هو ما جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، من أحبك ثم مات فقد قضى نحبه، ومن أحبك ولم يمت فهو ينتظر، وما طلعت شمس ولا غربت إلا طلعت عليه برزق وإيمان»[٣].

فيأخذ الإمام الهادي عليه السلام على عاتقه بيان اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بمدحة الله سبحانه واستغنائه بها عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين؛ بوصفه يُمثل المصداق الأجلى للصادقين بعهدهم مع الله عزّ وجلّ.

المبحث الثالث

البيان بآليات النصّ القرآني

المطلب الأول: آليات البيان بتحويل صيغة الخطاب القرآني

من الآليات التفسيرية للنصوص القرآنية التي وظّفها الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الغديرية هي آلية تحويل صيغة الخطاب القرآني وتضمينه في خطابه الخاص لأمير المؤمنين عليه السلام، فيغدو بهيأة جديدة هي هيأة خطاب المعصوم الإلهي، بعد أن كان خطابًا إلهيًا فحسب، وقد وردت هذه الآلية التفسيرية في ثلاثة نصوص قرآنية ضمن فقرات الزيارة الغديرية، وهي على النحو الآتي:

---

(١) الكليني، الكافي، باب ما فرض الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله من الكون مع الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٢٠٨.

(٢) الكليني، الكافي، ج١، ص٢٠٨.

(٣) الكليني، الكافي، ج٨، ص٣٠٦.

أولًا: بيان مريدي وجه الله تعالى

يأتي الإمام الهادي عليه السلام على تضمين جملة من آية قرآنية في كلامه فيقول: «أنت مطعم الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا لوجه الله، لا تريد منهم جزاءً ولا شكورًا»

وهو بذلك عليه السلام يقوم بعملية تحويل للخطاب القرآني من صيغة العموم وجعله بصيغة الخصوص، وهو يريد بذلك بيان الآية بتمامها من دون التصريح بها، وهو قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨]، فنجده عليه السلام قد عمد إلى بيان تلك الآية من طريق آلية تفسيرية مقصودة، وهي تحويل صيغة الخطاب فيها.

ثانيًا: بيان خير الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

كما أن الإمام الهادي عليه السلام قد أعقب ما تقدم بذكر مضمونٍ قرآنيٍ آخر بقوله: «وأنت الكاظم للغيظ، والعافي عن الناس، والله يحب المحسنين» وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وهو كما في السابق مجرد أن قام الإمام عليه السلام بتحويل صيغة الخطاب القرآني، وجعل المخاطب به بصورة مباشرة هو امير المؤمنين عليه السلام اتضح المراد من النص القرآني الذي يأتي عليه الإمام الهادي عليه السلام على ذكره كما هو في النص القرآني.

ثالثًا: بيان أفضل الصابرين في جميع الحالات

وقوله عليه السلام في توجيهه الخطاب إلى إبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول: «وأنت الصابر في البأساء والضراء وحين البأس»، ففي هذا الخطاب إشارة إلى نصٍّ قرآني مبارك أتى الإمام عليه السلام على بيانه بآلية تحويل الخطاب التفسيرية، وهو في قوله تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

المطلب الثاني: آلية البيان بتضمين المفردات القرآنية في الكلام

يعمد الإمام الهادي عليه السلام إلى تضمين

العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

كلامه الذي يخاطب به أمير المؤمنين عليه السلام، في الزيارة الغديرية بعض المفردات القرآنية أو بعض الجُمل الواردة في الآيات القرآنية، ثم يُبين المراد من النص القرآني ككل، ومن تطبيقاتها ما يأتي:

أولًا: بيان القوم الظالمين المقطوع دابرهم

استعرض الإمام الهادي عليه السلام ما ظهر في يوم خيبر وما كانت النتيجة بقوله: «ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين، والحمد لله رب العالمين»

فذكر الإمام الهادي عليه السلام في كلامه تضمينًا لجزءٍ من نصّ قرآني وهو قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥]، مريدًا بذلك بيان أن هؤلاء القوم – المقطوع دابرهم– هم مَن واجه النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين في يوم خيبر، بعد أن فضح الله عزّ وجلّ المنافقين آنذاك.

ثانيًا: التضمين لبيان الذين أذهب الله عنهم الرجس

يُضمّن الإمام الهادي عليه السلام في كلامه جزءًا من نصٍّ قرآني بغرض بيان المراد منه فيقول: «والأمر الأعجب والخطب الأفظع بعد جحدك حقك، غصب الصديقة الزهراء سيدة النساء فدكاً، وردّ شهادتك وشهادة السيدين سلالتك وعترة أخيك المصطفى صلوات الله عليكم، وقد أعلى الله تعالى على الأمة درجتكم، ورفع منزلتكم، وأبان فضلكم، وشرفكم على العالمين، فأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً».

الإمام عليه السلام يأتي على تضمين بعض مفردات الآية في كلامه؛ ليجعل المتلقي على دراية بانحصار المراد من النص القرآني بأصحاب الكساء من أهل البيت عليهم السلام؛ تشريفًا من الله تعالى وتنزيهًا لهم، وهو قوله عز من قائل: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وكما هو معلوم من أن هذه الآية نزلت في أصحاب الكساء، وهم خمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بإسناد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «نزلت هذه الآية في خمسة: فِيَّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة عليهم السلام»[1].

ثالثًا: بيان مَن أذاقهم الله وبال أمرهم

يروي الإمام الهادي عليه السلام ما جرى

(١) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٨، ص٥٥٩.

في يوم صفين من رفع المصاحف واختيار الناس لخديعة التحكيم ثم يقول: «فما زالوا على النفاق مصرّين، وفي الغيّ مترددين، حتى أذاقهم الله وبال أمرهم، فأمات بسيفك من عاندك، فشفي وهوى، وأحيى بحجتك من سعد فهدى»، وهو يريد بيان قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

المطلب الثالث: آلية البيان بتضمين أجزاءٍ من النصوص القرآنية

يأتي الإمام الهادي عليه السلام على توظيف النصّ القرآني بشكلٍ كاملٍ وصريحٍ في عملية الاستدلال على المراد الإلهي، وتمثلت هذه الآلية بنصّين قرآنيين وردا في فقرات الزيارة الغديرية.

أولًا: بيان الوفاء بالعهد بما تم في بيعة النبي صلى الله عليه وآله

أورد الإمام الهادي عليه السلام في أوائل فقرات الزيارة نصًا قرآنيًا صريحًا ضمن قوله: «وأن الله تعالى موفٍ بعهده لك، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾»، والذي جاء في سياق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

فالإمام الهادي عليه السلام يصرح بأن الإمام علياً عليه السلام هو من وفى بعهد الله تعالى، ثم يأتي على ذكر الأجر الذي أثبته الله عزّ وجلّ في النص القرآني للموفين بعهودهم، من طريق تضمين جزء الآية القرينية في كلامه، مما أسهم في ذلك البيان.

ثانيًا: بيان منقلب الظالمين

يستهل الإمام الهادي عليه السلام فقرةً من فقرات الزيارة بالدعاء والإقرار بشهادة الحق في أمير المؤمنين عليه السلام ولعْنِ المعارض له بقوله: «اللهم إنا نعلم أن هذا هو الحق من عندك، فالعن من عارضه واستكبر وكذب به وكفر، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾».

فيستدل الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، على أن الظالمين هم من عارض الحق في أمير المؤمنين عليه السلام واستكبروا عن طاعته وكذبوا بمنزلته من الله تعالى ورسوله وجحدوا بها، فإنهم سوف ينالهم المصير الذي سيعلمونه في الآخرة، وهو نوع من الوعيد المبهم زيادة في تخويفهم.

مجلة تراث المناطق
العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

المبحث الرابع

آلية تبيين مجمل النص القرآني وتأويله

المطلب الأول: آلية تبيين المجمل من النص القرآني

لا يخفى على المطلع اشتمال النص القرآني على ما هو مجمل في المراد، ويكون تبيينه تارةً بنص قرآني آخر، فيكون التبيين قرآنيًا خالصًا، وتارةً يُعهد بتبيينه إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من بعدهم، وهو الدور الذي قام بأدائه الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الغديرية.

أولًا: بيان المجمل في (الهداية)

يأتي الإمام الهادي عليه السلام على ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله ثم يعقبه بنصٍ قرآني فيقول: «أشهد شهادة حق، وأقسم بالله قسم صدق أن محمداً وآله صلوات الله عليهم سادات الخلق، وأنك مولاي ومولى المؤمنين، وأنك عبد الله ووليه وأخو الرسول، ووصيه ووارثه، وأنه القائل لك: والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك، ولا أقر بالله من جحدك. وقد ضلّ من صدّ عنك، ولم يهتد إلى الله تعالى ولا إليَّ من لا يهتدي بك، وهو قول ربي عزّ وجلّ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: ٨٢] إلى ولايتك».

فقد فسّر الإمام الهادي عليه السلام الإجمال الحاصل في الآية المباركة في أن الهداية لمن تكون؟ فأجاب بأنها تكون إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن غفران الله عزّ وجلّ معقود على الهداية إلى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانيًا: بيان المراد من إجمال (المُصَلِّين)

في فقرة من فقرات الزيارة يشرع الإمام عليه السلام بنصّ قرآني فيقول: «قال الله جلّ وعزّ: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ**﴾ [المعارج: ١٩-٢٢]، فاستثنى الله تعالى نبيه المصطفى وأنت يا سيد الأوصياء من جميع الخلق».

فيوضح الإمام عليه السلام ما أُجمل في النص القرآني، بعد أن جاء بصيغة العموم المتحدث عن جنس الإنسان، ولكنه متبوعٌ بالاستثناء الذي من شانه أن يخصص العموم، فاستثنى (المُصَلِّين)، يأتي دور الإمام الهادي عليه السلام ببيان المراد من (المصلّين) الذي هو أيضًا لفظٌ مجملٌ؛ وذلك عن طريق التخصيص بالاستثناء وتصريحه بأنه اختص بالنبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ثالثًا: بيان المراد من المجمل في المختصين بنزول السكينة

يتحدث الإمام الهادي عليه السلام عن أحدى الوقائع الإسلامية مضمنًا النص القرآني فيقول: «ويوم حُنين على ما نطق به التنزيل ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]، والمؤمنون أنت ومن يليك».

سعى الإمام الهادي عليه السلام في هذا النص إلى بيان على مَن أُنزلت سكينة الله سبحانه وتعالى عليه يوم حُنين، بعد أن انهزم جمعٌ كبيرٌ من المسلمين وضاقت عليهم الأرض بما رحبت؛ كون النص القرآني جاء مجملًا ولم يصرح بالمراد من (المؤمنين) الذين شملهم نزول السكينة مع الرسول صلى الله عليه وآله وبهذا يرفع الإمام (سلام الله عليه) ذلك الإبهام بقوله مخاطبًا أمير المؤمنين عليه السلام: «والمؤمنون أنت ومن يليك».

فذكر الإمام تفسيرًا للآية في كلامه بآلية بيان المجمل فيها بعد أن كانت الآية تتحدث عن واقعة يوم حُنين وما آلت إليه أحوال المسلمين، واختصاص نزول السكينة على النبي صلى الله عليه وآله وعلى أمير المؤمنين عليه السلام ومن تبعه وآمن به.

المطلب الثاني: آلية تأويل القصص في النص القرآني

جاء عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عدد من روايات تُثبت لهم علم تأويل النص القرآني، منها ما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال: «كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم، قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل، وما كان الله لينزل عليه شيئًا لم يعلمه تأويله هو وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله»[١].

ويعرف التأويل بانه «صرف الكلام من ظاهرهِ إلى وجه يحتملهُ»[٢]، ونجد من العلماء من يقيد التأويل بفئة قليلة من العلماء المختصين بعلمٍ من الله تعالى؛ لأن «مقتضى الدين والديانة ان لا يؤول المسلم شيئًا من الأعيان التي نطق به القرآن والحديث الا بصورها وهيئاتها التي جاءت... إلا أن يكون ممن خصهُ الله

---

(١) الكليني، الكافي، ج١، ص٢١٣.

(٢) الباجي، أحكام الفصول في أحكام الأصول، ج٢، ص٤٩.

بكشف الحقائق والمعاني والاسرار»[1].

إذن ماهية التأويل متقومة بالانتقال إلى الدلالة غير الظاهرة من النص، وأحد أهم ضوابط تطبيق التأويل على النص القرآني هي مراعاة النظم والدقة في إلغاء الخصوصية حتى يمكن انتزاع المفهوم العام من الكلام.

من هنا يتبين أن علم أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم علم خاص يشمل علم الظاهر والباطن، وهو حتمًا مما اختصهم الله تعالى به دون غيرهم؛ ليقوموا بدورهم الرسالي الذي أناطه الله عزّ وجلّ بهم من تبيين ما أُغمض على المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقد ذكر العلّامة المجلسي (ت: ١١١١هـ) في بحاره أنه روي في بعض مؤلفات أصحابنا، بإسناده عن المفضل بن عمر في حديث جاء فيه: قال الصادق عليه السلام: «يا مفضّل: لو تدبّر القرآنَ شيعتُنا لما شكُّوا في فضلنا، أما سمعوا قول الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦]؟ والله يا مفضّل، إن تنزيل هذه الآية في بني إسرائيل، وتأويلها فينا، وإن فرعون وهامان: وجنودهما تيم وعدي»[2].

وقد وقع التأويل لنصيّن قرآنيين وردا ضمن كلام الإمام الهادي عليه السلام في معرض حديثه وزيارته الغديرية لأمير المؤمنين عليه السلام، والجدير بالذكر أن كلا النصين القرآنيين هما مما اختص بقصص الأنبياء السابقين عليهم السلام وكان موضوعاهما مناسبين لموضوع أمير المؤمنين عليه السلام كما سيتضح.

أولًا: تأويل قصة افتداء اسماعيل عليه السلام بمبيت الإمام علي عليه السلام

يذكر الإمام الهادي عليه السلام في كلامه ما تشابه من المواقف الواردة في قصص القرآن الكريم وواقع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيقول: «وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام، إذ أجبت كما أجاب، وأطعت كما أطاع إسماعيل صابرًا

(١) ملا صدرا، تفسير القرآن الكريم، ج٥، ص١٦٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣١، ص٦٢٨.

محتسبًا، إذ قال له: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ».

واضحٌ أن الإمام الهادي عليه السلام يريد أن يُبين تأويل قصة إسماعيل عليه السلام الذي خلف أباه النبي إبراهيم عليه السلام بعد طول اختبار وابتلاء في استعداده على التضحية في سبيل الله تعالى وشرعه والامتثال لأوامره من دون تردد وبتسليم منقطع النظير حتى لو كان الأمر يتعلق بإزهاق الروح على يدي أبيه – وما أعظمه من اختبار للولد والوالد –، فمضمون هذه القصة القرآنية وتأويلها يتجسّد عند أمير المؤمنين عليه السلام بشكلٍ مطابق بما جاء به النص القرآني، ومما أثبته له في استعداده افتداء رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بنفسه يوم بات في فراشه ليوهم المشركين بوجوده ويسلم النبي في خروجه من مكة مهاجرًا هجرته المباركة إلى المدينة.

والجدير بالذكر أن الإمام الهادي عليه السلام لم يأتِ على ذكر النص القرآني الذي يوثق حادثة مبيت الإمام بفراش النبي وهو قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] كونه قد ذكره في موطن آخر من الزيارة المباركة[1]، بل اكتفى ببيان الموقف من طريق سرد قصة قرآنية وبيان المراد منها بآلية تأويل تلك القصة بما تُثبت أن مواقف الإمام علي عليه السلام تشبه إلى حدٍ كبيرٍ مواقف الأنبياء الذين خلفوا من سبقهم تمامًا، فكما ان النبي اسماعيل عليه السلام أطاع وافتدى بنفسه أوامر الله تعالى عن طريق تنفيذ ما أمره به نبيه عليه السلام، كذلك أمير المؤمنين عليه السلام في طاعته وتنفيذه لأوامر ربه عزّ وجلّ ونبيه صلى الله عليه وآله.

ثانيًا: تأويل قصة محنة هارون عليه السلام بمحنة الإمام علي عليه السلام

مما أثبته الإمام الهادي عليه السلام لأمير المؤمنين عليه السلام هو التشابه في المحنة بينه وبين هارون عليه السلام فيخاطبه بقوله: «ثم محنتك يوم صفين، وقد رُفعَت المصاحف حيلةً ومكرًا، فأعرض الشك وعُرف الحق واتُبع الظن، أشبهت محنة هارون إذ أمره موسى على قومه فتفرقوا عنه، وهارون يناديهم ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩٠-٩١]».

---

(١) ورد بيان النص القرآني المذكور ضمن مبحث آلية التصريح بأسباب النزول

العدد: التاسع
السنة: الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

يعمد الإمام الهادي عليه السلام إلى إيراد النص القرآني المشتمل على قصة النبي هارون عليه السلام وما آلت إليه أمور قومه بعد أخيه النبي موسى عليه السلام؛ لما فيه من دلالة على التشابه الكبير بين ما تعرض إليه هارون عليه السلام بعد رحيل أخيه موسى عليه السلام إلى ميقات ربه، وما تعرض إليه أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة أخيه النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، فتشابهت المحنة بينهما فيما قام به أقوامهما من جحودٍ للنعمة وكفرٍ بالأوامر ونكرانٍ لوصايا الأنبياء فمن خلّفوا من بعدهم وما أوصوا به في تعظيم مكانتهما عندهم، وهو من التأويل للقصص الواردة في النص القرآني.

والجدير بالذكر أن في كلتا القصتين القرآنيتين إشارة إلى مكانة الشخص الذي يخلف النبي السابق، وهو ما يريد إثباته الإمام الهادي عليه السلام ولا سيما أنه يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام في الزيارة الغديرية المختصة بذكرى يوم بيعته أميرًا للمؤمنين يخلف النبي صلى الله عليه وآله ويؤدي دوره في تنظيم شؤون الأمة.

الخاتمة والنتائج

تطرقنا في هذا البحث المتواضع إلى ما ورد عن الإمام علي الهادي عليه السلام في زيارته الغديرية، التي جاءت على إيراد سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المعطاء، منذ بداية البعثة النبوية وانطلاق الدعوة الإسلامية ومرافقة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله في جميع مفاصلها، مرورًا بأحداثها ووقائعها، وصولًا إلى مرحلة ما بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وهو بذلك كله يريد عليه السلام أن يُبين ما لأمير المؤمنين عليه السلام من الفضل الذي أثبته الله عزّ وجلّ له في نصوص قرآنه العظيم، موظفًا تلك النصوص القرآنية في زيارته الشريفة الواقعة ضمن مناسبةٍ عظيمةٍ ألا وهي ذكرى يوم بيعة الغدير، وبيان المراد منها بآليات تفسيرية خاصة، فيمكن إجمال ما توصل إليه البحث بما يأتي.

١. إن زيارة الغدير من أهم زيارات الأئمة الطاهرين عند الشيعة الإمامية، المروية بأسانيد معتبرة عن الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وقد لاقت اهتمامًا بالغًا؛ لأنها رمز لعقيدتهم.

٢. كان عدد النصوص القرآنية الصريحة الواردة في زيارة الغدير (٢٧) سبعة وعشرين نصًا اختلفت في حجمها

مجلة سراج المشاهد
العدد التاسع
السنة الخامسة
١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م

وموقعها من الزيارة، وجاء بيانها في البحث بحسب ورودها في كل مبحث ومطلب.

٣. من الآليات التفسيرية المستعملة في الكشف عن مراد الله تعالى في النصوص القرآنية التي وظّفها الإمام علي الهادي عليه السلام هي آلية ذكر سبب نزول النص القرآني الخاص بشكلٍ صريح في نص الزيارة في ثمانية تطبيقات؛ لما لها من أهمية وفوائد أثبتها علماء الدراسات القرآنية، وأهمها الوقوف على منزلة الصالحين والمؤمنين ومناقبهم، أو فضيحة المنافقين.

٤. أراد الإمام الهادي عليه السلام في زيارته الغديرية أن يُبين مكانة أمير المؤمنين عليه السلام من طريق تفسير الآيات الكريمة بذكر أبرز مصاديقها من طريق آلية بيان المصداق الأعلى، وتحققت هذه الآلية في ستة تطبيقات إجرائية.

٥. أبدع الإمام الهادي عليه السلام في استعماله آلية تحويل صيغة الخطاب القرآني وتضمينه في خطابه الخاص لأمير المؤمنين عليه السلام، فغدى بهيأة جديدة يمكن وصفها بأنها هيأة خطاب المعصوم الإلهي، وقد تحققت في ثلاثة نصوص قرآنية ضمن فقرات الزيارة.

٦. عمد الإمام الهادي عليه السلام إلى تضمين كلامه بعض المفردات القرآنية أو بعض جُمل الآيات القرآنية، ثم بيّن المراد منها في ثلاثة مواطن من الزيارة، عن طريق آلية البيان بتضمين المفردات القرآنية في الكلام.

٧. أتى الإمام الهادي عليه السلام بنصين قرآنيين مستعملًا لهما آلية البيان بتضمين أجزاءٍ من النصوص القرآنية، وهي توظيف النص القرآني بشكلٍ كاملٍ وصريحٍ في عملية الاستدلال على المراد الإلهي.

٨. قام الإمام الهادي عليه السلام بأداء دوره في تبيين ما أُجمل من النصوص القرآنية الثلاثة الواردة ضمن فقرات الزيارة الغديرية، بآلية تبيين المجمل من النص القرآني.

٩. كان لآلية تأويل النص القرآني حظورٌ لبيان المراد من قصتين قرآنيتين متضمنتين موضوع مكانة مَن الذي يخلف النبي السابق، وهو ما أراد الإمام الهادي عليه السلام إثباته لأمير المؤمنين عليه السلام في زيارته الغديرية؛ كونه الإمام المفترض الطاعة الذي يخلف النبي صلى الله عليه وآله.

اللهم إنّا نسألك وندعوك ونتقرب إليك بأحب الخلق إليك محمد وآله الطاهرين، أن تصلي عليهم عدد ما أحاط

به علمك، وأن تجعلنا معهم ولا تفرق بيننا وبينهم في الدنيا والآخرة، إنك سميع الدعاء مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت: ٥٨٨هـ)، متشابه القرآن ومختلفه، مكتبة البو ذر جمهري المصطفوي بطهران، ١٣٢٨هـ. ش.

٢. الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل، ط ٣، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣. الأعرجي، ستار، مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٤. الباجي، احكام الفصول في احكام الأصول، بيروت، دار الرسالة، ١٩٨٩م.

٥. البحراني، السيد هاشم الحسيني (ت: ١١٠٧ هـ)، البرهان في تفسير القرآن، قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، قم.

٦. الحويزي، الشيخ عبد على ابن جمعة العروسي (ت: ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط٤، ١٤١٢، ١٣٧٠ ش.

٧. الخرسان، عبد المطلب الموسوي، شرح زيارة الغدير، باقيات، قم، إيران، ط١، ١٤٢٨هـ.

٨. الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٣٦٧هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٤٣١هـ.

٩. السيوطي، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر، ط١، ١٤١٦، ١٩٩٦م.

١٠. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.ط، ب.ت.

١١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤، ١٩٨٤م.

١٢. الطباطبائي، محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة.

١٣. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٣٨هـ)، مجمع البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.

١٤. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الآملي، (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.

١٥. الطوسي، أبو علي محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

١٦. العطار، الدكتور داوود، موجز علوم القرآن، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، العراق، النجف الاشرف، (د. ت).

١٧. العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود السمرقندي (ت: ٣٢٠هـ)، تفسير العياشي، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران سوق الشيرازي.

١٨. الغازي، داود بن سليمان بن يوسف (ت: بعد ٢٠٣هـ) مسند الإمام الرضا عليه السلام، تحقيق السيد محمد جواد الحسيني الجلالي، مركز النشر التابع لمكتب

الاعلام الاسلامي.

١٩. القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٨٨م.

٢٠. الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، ط٥، ١٣٦٣هـ. ش.

٢١. كمال، عادل، علوم القرآن، دار لبنان، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٢. المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق الشيخ عبد الزهراء العلوي، دار الرضا، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٣. المعتزلي، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط٢، قم، إيران، ١٤٠٤ هـ ق.

٢٤. ملا صدرا، محمد بن ابراهيم (ت: ١٠٥٠هـ)، تفسير القرآن الكريم، منشورات بيدار، قم، د. ت.

٢٥. الميبدي، محمد فاكر، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ١٤٣٩هـ.

٢٦. هادي، محمد، التفسيروالمفسرون، مؤسسة الطبع والنشر، الاستانة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٢٧. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (ت: ٤٦٨ هـ)، أسباب النزول، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢م.